المعايير التعبوية لتقييم المعارك العسكرية

أولاً : بين يدي الموقف :

قيل في الأثر : " قس لكل بمقياس عقله ، وزن له بميزان فهمه ؛ تسلم منه و ينتفع بك ، وإلّا وقع الانكار لاختلاف المعيار " وثبت أن أكثر ما يحمل الناس على الخلاف ؛ " مفاهيم لم تقصد ، ومقاصد لم تفهم " . ومن الأمور التي تَجر خلفها جدلاً كبيراً وشقاقاً مريراً ؛ ما يلي أي حرب أو معركة من نقاشات وحوارات عن النصر والهزيمة ، والتقصير في مواكبة الأحداث من هذا الطرف أو ذاك ، وحيث أن المنتصر وتحت تأثير نشوة نصره وما يرافقه ـ النصر ـ من (زفات) و(عراضات) لا يكلف نفسه عناء بحث شأن خسائره التي خسر ، وأكلافه التي دفع في طريقه إلى النصر الذي حقق ؛ فإن الجهة التي تلقت الصفعة ، وهُزمت أو استسلمت ـ جزئياً أو كلياً ـ ، هذه الجهة المهزومة ؛ يكثر فيها القيل والقال و(النقار) ، وتقاذف المسؤوليات عما خَرُبَ من عمارات ، وفُقد من الحيوات ! ولأن الموقف كما قيل آنفاً ؛ رأينا أن نقدم **هذه الورقة التي ستتحدث عبر مجموعة من العناوين حول الحرب وكيفية تقييم نتائجها ، وكيف يحدد المنتصر فيها من المهزوم ،** آملين أن تسد الأفكار الواردة فيها ـ الورقة ـ لبنة في جدار الفهم العسكري لأهم ظاهرة بشرية ـ ظاهرة الحرب ـ التي يختلط فيها العاطفي مع الحسي ، والبشري مع المادي ، غير زاعمين أننا جئنا على كل تفاصيل هذا الأمر الشائك ، تاركين لأهل الاختصاص أخذ ما في هذه الورقة من سمين ــ إن كان فيها ــ ، وليطرحوا ما فيها من غث وقُصور ، وما أكثر التقصير والقصور .

ثانياً: تعريف الحرب :

وحتى يُبنى الموقف الذي نحن في صدده بشكل علمي ومنطقي ؛ لابد لنا أولاً من تعريف وتحرير مصطلح " الحرب " ولو بشكل سريع ، فالحرب هي : عبارة عن صراع إرادات ، وتقابل قدرات ، بوسائل خشنة وأخرى ناعمات ، يُلجأ لها عندما تنسد كل طرق التواصل والحوار من أجل تأمين المصالح ، والدفاع عن المقدرات ـ المادية والبشرية ـ نقطة انتهى وبدون (طول سيرة) .

ثالثاً: تعريف النصر :

وأيضاً حتى لا نغرق في التفاصيل ، فإن من أهم أسباب إطالة الحروب والنزاعات ، وتدحرجها وتفاقم مواقفها ، ثم خروجها عن السيطرة ، وتكبد خسائر بشرية ومادية لم تكن متوقعة أو ضرورية ، من أهم أسباب هذه الإطالة ؛ عدم التفاهم بين أصحاب القرار في الحرب ــ بشقيهم السياسي والعسكري ــ على تعريف النصر ، ومتى يقال أن المهام قد أنجزت وأن الأهداف قد حُققت . إن تفاهم واتفاق قادة البلد أو التنظيم أو الحركة على تعريف النصر يعد من أهم الأمور التي تساعد على السيطرة على المواقف الاستراتيجية والتعبوية التكتيكية التي تتخلل الحرب والمعركة ، ومن أهم سبل الحد من الخسائر ، وتحديد زمان ومكان وكيفية " قطع التماس " مع العدو ؛ انسحاباً للخلف أو تموضعاً في المكان . لذلك يجب أن يتم تعريف النصر قبل بدء المعارك ؛ فهل النصر في قتل وتحييد أكبر كم ممكن من قدرات العدو البشرية والمادية ؟ أم أن النصر باحتلال جغرافيات العدو وطرده منها ؟ هل النصر يتمثل بتحرير كامل ما احتُل من الأرض ؟ أم يمكن إطلاق مصطلح النصر على التحرير الجزئي لما احتل من أرض وصودر من قدرات ؟ ماذا عمن يقولون أن النصر يتمثل في كوننا آخر من يصلي صلية ، أو يرشق رشقة ؟ هذه أسئلة يجب على أصحاب قرار الحرب أن يجيبوا عنها قبل أن يصدروا قرارها ، وأن يراقبوا قرائن تحققها أثناء خوض المعارك ، ومن ثم تكون رائدة

لهم وموجهة لسلوكهم في جلسات تقييم الحرب واستخلاص الدروس والعبر منها ، وإلّا (بتضيع الطاسة) ، وسيدعي كلٌ وصلاً بليلى !!

رابعاً: أهداف الحرب :

وفي نفس السياق السابق ؛ دعونا نتحدث بشكل سريع عن الهدف أو الأهداف من أي حرب تُشن أو معركة تخاض ، وهنا لابد من الإشارة إلى أننا نتحدث عن الحرب الخشنة ، ولسنا في وارد الحديث عن " الحرب الناعمة " أو " النصف الخشنة " فالحديث عندها سيطول أطول من شارع الـ ٦٥ في وسط فلسطين . أما عن أهداف الحرب فيمكن إيجازها بأنها عبارة عن أهداف كلية ، وأخرى جزئية ، نأتي على التفصيل فيها بشكل سريع على النحو الآتي :

١. **الهدف الكلي من الحرب هو فرض الإرادة على العدو** :

إن الهدف الكلي لأي حرب أو معركة ، هو فتح ما أغلق من قنوات حوار ودبلوماسية ، عجزت عن تحقيق الأهداف وتأمين المصالح ، فتأتي هذه الحرب لتفرض على من رفض الاستجابة للمطالب سلماً ؛ أن يُقدّم ما رفضه وتمنع عن أدائه حرباً . إنها ـ الحرب ـ تخاض من أجل فرض إرادتنا على العدو ، عبر تجريده من وسائل دفاعه و/أو هجومه ، فتُقلم (أظافره) وتضرس (أسنانه) ، ويُجلب صاغراً إلى طاولة المفاوضات التي ستترجم عليها المواقف الميدانية والعسكرية ، نصوصاً كتابية وإنشائية ، هذه هي بالاختصار الأهداف الكلية من أي معركة عسكرية ، أو مواجهة حربية .

٢. **الأهداف الجزئية أو الفرعية** :

أما عن الأهداف الجزئية للمعارك العسكرية ؛ فهي أهداف أربعة يعرفها كل مبتدئ في العمل العسكري ، فضلاً عن محترفي مهنة المخاطر هذه ، وهي ـ الأهداف ـ وباختصار شديد لا تتجاوز الآتي :

أ. **احتلال أو تحرير** :

الهدف الأول لأي معركة تخاض أو حرب تشن هو : إحتلال أرض أو تحرير جغرافيا ، ضمن زمن معين ، ومراحل محددة ، لا يجب أن ينفد فيها الزمن قبل تحقيق الهدف ، وإلّا دخل القادة ومقاتلوهم في مربع الخطر والاستنزاف والإطالة التي قد تفضي إلى تغير المواقف وانقلابها من نصر إلى هزيمة ، ومن إنجاز إلى إخفاق .

ب. **تأمين** :

أما الهدف الثاني فهو : تأمين أرض أو حاضرة مدنية ذات قيمة استراتيجية أو تعبوية أو تكتيكية ، بحيث تَخرج هذه الأرض وتلك الحاضرة خارج مديات التأثير القاتل لوسائط العدو القتالية بمختلف صنوفها البرية البحرية والجوية ، فلا تعود منصات وقواعد نار العدو تهدد هذه المدن أو تلك الجغرافيات بما تحويه من بشر وقدرات .

ت. سيطرة :

والهدف الثالث من المعارك الجزئية في الحروب الكلية ، هو السيطرة بوسائط القتال المباشرة وغير المباشرة على جغرافيات مأهولة أو غير مأهولة ، تمنح المُسيطر عليها أفضلية قتالية ، وتحسن من موقفه الميداني ، إن السيطرة تعني حرمان العدو من حرية الحركة والمناورة في المنطقة المسيطر عليها ، فيُسلب المبادرة ، والروح القتالية ، وتستنزف قدراته ، ويدفع إلى التسليم بمطالبنا ، وتُخضع إرادته لإرادتنا .

ث. **تعزيز أو اسناد :**

أما آخر أهداف المعارك فهو : تعزيز تشكيل قتالي هنا ، أو إسناد قوة هناك ، فما يوضع من قدرات قد لا يكفي للقيام بما هو مُحوّل من مهمات ، فيُستنجد بالقريب من القوات ، أو بالاحتياطي الذي بقي مستريحاً متوثباً في العقبات والمؤخرات ، فيهب للنجدة إذا تطلبت المواقف والمناورات .

هذه هي الأهداف الكلية أو الجزئية ـ باختصار شديد ـ لأي حرب أو معركة خيضت سابقاً ، أو تُخاض حاضراً ، أو سَتخاض مستقبلاً ، وما دون ذلك ؛ تفصيل .

خامساً : معايير التقييم :

وحتى (نغمس) في أصل صحن ورقتنا هذه ، نختم بمجموعة من المعايير التعبوية التي نعتقد أن التالي من نقاط يعد من أهمها ، والذي يجب أن يُستحضر عند التقييم ، للتقويم واستخلاص العبر والدروس من أية حرب أو معركة ضروس ، وفيما يلي التفصيل :

١. **تحقيق الأهداف (المهمة) الكلية أو الجزئية :**

إن أول ما تُقيّم على ضوئه المعارك هو تحقيقها للأهداف أو المهام التي من أجلها خيضت ، ولتحقيقها شُنت ، فالسؤال الأول الذي يطرحه القادة في غرف العمليات بعد أية مناورة أو حركة تعبوية هو : هل حققت هذه المناورة أو تلك الحركة الهدف الذي من أجله تمت ؟ فإن كانت الإجابة "نعم " قيل أن هذه الخطوة قد تمت بنجاح ، وأن نصراً جزئياً قد تم ، لتراكم عليه فيما بعد انتصارات أخرى ، وصولاً إلى تحقيق المهمة الكلية ، والهدف الرئيسي من الحرب. إذن فإن أهم ما يجعل تقييم الحرب سهلاً ميسوراً غير مختلف عليه هو : تحديد "المهمة" أو الأهداف بشكل واضح ودقيق ومفهوم وغير حمال لأوجه ، تعريفه وفهمه من قبل الجميع ـ قادة وجنود ـ ، وإلا وقع (النقير) بعد كل نفير.

٢. **منع العدو من تحقيق أهدافه القتالية :**

فقد لا تكون أنت المبادر بالحرب ، أو المسعر لنارها ـ دون الخوض في الأسباب ـ فتكون في مقام المدافع الذي يصد هجوم عدوه عنه ، وهنا فإن المعيار الرئيسي لتقييم معركتك ومناوراتك القتالية فيها هو : منع العدو من تحقيق ما يصبو له من أهداف ، وما يقاتل من أجل تحقيقه . فإن تحققت غايتك في المنع والصد ؛ فقد حققت هدفك من خلال منع عدوك من تحقيق هدفه ، وهنا أيضاً يجب على القادة معرفة و/أو تقدير الأهداف الكلية والجزئية لحرب عدوهم ، حتى يستطيعوا رسم خططهم وتخصيص قدراتهم ، وإلّا فإن الـ (تَبصير) لا يصلح لإعلان النفير .

٣. **تحسين المواقف القتالية الميدانية :**

ومن المعايير المستخدمة لتقييم المعارك والحروب ؛ ما تفضي إليه من نتائج عبر تحسين الموقف القتالي لأحد طرفيها ؛ فقد يكون أحدهم في موقف قتالي صعب وخطير ، فيتعرض لعدوه من أجل تحسين موقفه الميداني ، فيخرج ــ على سبيل المثال ـ من تحت سيطرة ناره ومراقبة راداره ، محسناً موقفه محصناً صفوفه ، متحضراً لحملة أو هجمة على عدوه ، متموضعاً في جغرافيا تمكنه من شن هجومٍ يملك فيه زمام المبادرة ، وصولاً إلى تحقيق النصر وإنجاز المهمة . وهنا أيضاً يُسأل السؤال المعهود والمتكرر ؛ هل تحسّن الموقف القتالي بعد المعركة أم ساء ؟ وعلى ضوء الإجابة تُقيّم المعركة ، وتُحدد المسؤوليات .

٤. **تدمير القدرات البشرية والمادية للعدو** :

وقد لا يكون الهدف من المعركة أو الحرب احتلال أرض أو تحرير جغرافيا والسيطرة عليها ـ الغارات مثلاً ـ ، وإنما هدفها النهائي هو قتل أكثر عدد ممكن من قوات العدو ، أو تدمير أكبر كم من أصوله الإستراتيجية ، من مطارات ومستودعات ومباني ومنشآت ، فإن تحقق هذا التدمير ، وتحققت في العدو تلك الخسائر ، فإن جواب سؤال إنجاز " المهمة " الذي يعني النصر أو الهزيمة ، يكون إيجابياً ، وإن لم تُحقق الخسائر المتوقعة أو المقدرة عند التخطيط ، أو كان ما وقع في صفوفنا من خسائر ـ بشرياً ومادياً ـ أكبر بكثير مما ألحقناه بعدونا من أضرار وخسائر ، عندها ستدور الدوائر ، على القائد الذي كان بالحرب مبادر!!

٥. **التأثير على القرارات المستقبلية** :

كما يُعد هدف التأثير على قرارات العدو المستقبلية هدفاً مشروعاً للمبادرة بالحرب ، يقيم النجاح فيها بناء على مستوى تحقيق هذا الهدف من عدمه ، فهل ما قمنا به من عملية أو عمليات عسكرية " أرعبت العدو " ؛ فانثنى عن أخذ قراره بحربٍ كنا نظن أنه سيبادر إليها ؟ أم أن تشغيل بعض من قدراتنا القتالية " ردع " العدو فأحجم عن تهديد مصالحنا أو التعرض لها ؟ إن مقدار الرعب أو الردع المتحقق من أية عملية عسكرية يعكس نفسه ـ حكماً ـ على أية قرارات معادية مستقبلية ، وتقيّم بناء عليه إخفاقات أو نجاحات أية عملية عسكرية .

٦. **احباط التهديدات الفعلية والحد من الأخطار المستقبلية** :

وقد تتجمع نذر خطر فعلية يرى المراقب والمتابع أنه إن لم يتم إحباطها في مهدها فإنها ستتبلور على شكل تهديدات ومخاطر ، يصعب التعامل معها أو العيش تحت ظلالها ، وأن أفضل طريقة للتخلص من سيف " ديموقوليس " هذا هو المبادرة إلى ضرب التهديد في مهده ، والتعرض له ابتداءً ، ومن موقف قوة ومبادرة ؛ فيُقضى على التهديد الفعلي ، ويُحد من الخطر المستقبلي . وما لم تكن الإجابة عن سؤال إنجاز هذه المهمة ـ احباط التهديد والحد من مخاطره ـ وتحقيق هذا الهدف، ما لم تكن " نعم " ، فإن الموقف يعني " هزيمة " محققة وليس نصراً مُدّعىً .

٧. **تحسين الموقف السياسي الكلي** :

وحيث أن الحرب هي استمرار للعمل السياسي ولكن بوسائل أخرى كما قال " كلاوزيفتز " فإن الهدف الكلي لأية حرب أو معركة تخاض هو : تحسين الموقف السياسي الكلي للدولة أو الحركة أو الجماعة ، فالسياسة تَحصد ما زرعته البنادق ، والمعاهدات والمواثيق ، إنما هي انعكاسٌ لموازين القوى ، وما يعقب الحروب من جلسات ومفاوضات ، وما يكتب من وثائق ومستندات إنما هو حصيلة ما حققته القوات في الميدان من إنجازات . لذلك فإن أردت أن تحدد المنتصر من المهزوم ، أو الضارب من المضروب ، في أية معركة أو في الحروب ؛ فما عليك إلّا أن تقرأ وتدقق فيما كُتب بعدها من صكوك ، أو (تُفوهم) عليه من تفاهمات ؛ تحريرية كانت أو (جنتلمانات) ، ولا يلتفتن أحدنا إلى ما يلي الحروب من (زفات) و(عراضات) فشمس الانتصار لا تغطى بغربال ، والهزيمة لا تخفى على كل ذي عقل شغال .

كانت هذه بعض الأفكار والمفاهيم حول الحرب وأهدافها ، وكيف يمكن أن تقيّم ابتداءً لتُقوّم وتستخلص منها العبر والدروس انتهاءً . والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

عبد الله أمين

٢١ ٠٥ ٢٠٢٣